مريد البرغوثي

استيقِظْ كَي تحلُمْ

مكتبة ٢٩٨

شِعر

استيْقِظْ كي تَحْلُم

مكتبة 298

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

مريد البرغوثي

استيْقِظْ كي تَحْلُم

مكتبة 298

شِعر

telegram @ktabpdf
مكتبة أحمد

Wake up to Dream
By: Mourid Barghouti

First Published in June 2018

Copyright ©Riad El-Rayyes Books S.A.L.
BEIRUT – LEBANON

elrayyes@sodetel.net.lb
www.elrayyesbooks.com

ISBN: 978-9953-21-693-5

مكتبة أحمد

٢٠١٨١١٨

الطبعة الأولى: حزيران (يونيو) ٢٠١٨

تصميم الغلاف: ديمة علاء الدين البرغوثي

صورة الشاعر على الغلاف بعدسة دارة علاء الدين البرغوثي

الإخراج الفني: علي كمال الدين

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

الإهداء

إلى رضوى عاشور

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

مُفرَداً، شاهقاً، شُرْفَتي غيمةٌ دلَّلَتْها السماءُ
أُطِلُّ على شاطئٍ، جَنّةٍ،
قال أخضرُها كلَّ أقوالِهِ هامِساً، هادِراً
فستُقِيَّ الذوائبِ، يوشكُ يلْمَعُ،
أخضرُ يرضَعُ، يحبو،
يكاد يشبُّ إلى المشمشيِّ المُضيءِ
ويدخل في الصَّدَئيِّ المُوَشّى كما
قِشْرِ رمّانةٍ أَوْغَلَتْ في النّضوجِ
وأخضرُ فيه الدُّخانيُّ
يهربُ من زُرْقةٍ خالَطَتْهُ

telegram @ktabpdf
مكتبة أحمد

وفيه الجُمان الذي يتدرج نحو النحاسيِّ
والعِنَبِيّ الشفيفِ، وما لستُ أعرفُ،
غاباتُها تستريحُ بمنْحدراتٍ تُلامسُ
صمتَ البحيرةِ من كل جَنْبِ
ورائحةُ الزّهر تعلو مِن السفحِ نحوي
عُلُوَّ الدُّفوفْ.

وتبدو الجِبالُ جُدوداً
كأجدادِنا يألَفونَ أماكِنَهمْ عادةً
فالجِبالُ زمانٌ، إذا ما تَمَعَّنْتَ في أمرِها
إنها الوقت متَّخِذاً جَسَداً
ومياهُ البُحيرةِ، منقوشةً بالمراكبِ، تبدو
كثَوْبِ الحفيدةِ تُصغي لِسِحْرِ حكاياتِهِمْ
مَسَّها نَعَسٌ
والنسيمُ يطوفُ القُرى حول قوسِ المياهِ
خَجولاً

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

يكاد يقدِّم أعذارَهُ للحَفيفْ،

وأنا، بجناحَيْنِ قد حَدَثا فجأةً،
شاهقاً، ومُطِلّاً على كل هذا المَدى
ربما صرتُ طيراً ولي نَظْرةُ الطيرِ،
فالآنَ أعرفُ بالضبطِ ما نَظْرةُ الطير،
أعرفها
قلت هذا صباحٌ يَحِنُّ على مَن يُشاهِدُهُ
بل صباحُ مَشاهِدَ حَنَّتْ على بعضِها
سوف أحتاجُ عاماً
لأعرفَ أسماءَ أشجارِها
والنباتاتِ والزهرِ والطيرِ
أو أَعرفَ اسمي أنا ها هُنا
وهنا يَحسُنُ الشِّعرُ
فاكتبْ كما تشتهي يا غريبُ،
هنا تشتهيكَ الحُروفْ.

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

تأمّلْتُ جِسمي فأربكَني:
خَلْفَ أزرارِ هذا القميصِ الخفيفْ،
حاضِرٌ،
مثلَ رُكْبَتِكَ ارتطَمَتْ بالرُّخامِ.
وماضٍ مُخيفْ،
كذِئبٍ يفكّر في طفلةٍ
ويصِرُّ على أن أسميه مُستقبَلاً.
ومنازلُ أهلي التي غيَّرَتْ أهْلَها
والخسائرُ مصفوفةٌ كالقواميسِ فوق الرّفوفْ

وأُغمِضُ جسمي وعيناي مفتوحتانِ
كَشُبّاكِ أُمّي
وشُبّاكُها لم يُطِلَّ على لَهْوِ أحفادِها
في حديقتِها
بل على لَهْوِ «رَبّ الجنودِ» بأيامنا
وانقلابِ الصفاتِ إلى عَكْسِها

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

وفسادِ الضَّحيةِ مِن رأسِها
وانهيارِ المُنى والسّقوفْ

خَلْفَ أزرارِ هذا القَميصِ الخَفيفْ،
أواصلُ أشغالَ مَن ظلَّ حَيّاً:
أدفِّئُ «رضوى» من البَرْدِ،
يسهرُ عندي «مَجيدٌ»
وتقطفُ «أمُّ منيفٍ» زُهورَ حديقتِها
في انتظارِ «مُنيفْ».
وها نحن نمشي معاً في صَباحِ الجِبالِ
نقولُ ونَسمَعُ نتعَبُ نُبْطِئُ نرتاحُ نسرعُ
نغضب نغفر
ننسى نتوه قليلاً ونسألُ
نذْكُرُ بيتاً من الشعر للمُتَنَبّي
ونضحكُ مِن نكتةٍ خالطت دمعنا
هل أغيِّرُ للموتِ رأياً وأُقْنِعُهُ أنه فاشلٌ؟

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

أيقتنعُ الموتُ أنّي أسيرُ بأقدامهمْ؟
فخُطايَ خُطاهُمْ
وعيناياَ أعينُهُمْ
والقصيدةُ إصغاؤهم
هل سأقنعهُ أنهم يَحدُثونَ لِيَ الآنَ
مِثْلَ النّجاةِ ومِثْلَ العِناقْ؟
يَحدُثونَ لِيَ الآنَ حتى نُطيقَ معاً
عِبْءَ هذا الجَمالِ الذي لا يُطاقْ
وأنّ خُلوداً صغيراً يباغتُنا الآنَ فِعْلاً؟
تميمٌ سيَلْتقِطُ الصورةَ الآنَ،
قُلْتُ انتظِرْ لحظةً:

سوف أُصلِح ياقَةَ رَضْوى،
وأُذْنِي مُنيفاً وأمّي إليَّ وأطولَنا، والدي ومَجيداً،
إلى المُنتصَفْ

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

أيقتَنِعُ الموتُ أنّا بُعِثنا هنا كامِلِينَ
وطِرنا معاً من يديهِ مع الطيرِ
فوقَ البحيرةِ، صِرْنا البحيرةَ
صِرْنا الجِبالَ وصِرْنا الظِّلالَ
وصِرْنا مقاهي الرَّصيفْ.

ها أنا أطردُ الشَّوْقَ من لُغَتي،
وهل الشَّوْقُ إلا اعترافٌ بِكَسرِ المكانِ مَكانَيْنِ
والجسمِ جسمَيْنِ والواحدِ اثنينِ؟
إنّ الضِّفافَ هي النهرُ
مِن دونِها لا نُسَمّيهِ نَهراً
وإنّ الجِبالَ تصير جِبالاً بوِدْيانِها
والزهورُ، أتنمو الزهورُ على غير سيقانِها؟
أو تعيش المَقابِضُ دون السّيوفْ؟
ومَن يفصلُ الطيرَ عن مُمْكِناتِ الجناحَيْنِ
والموجَ عن جَسَدِ البحرِ؟

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

مَن يفصلُ الآنَ بين السفينةِ والماءِ
مَن قال إن الربيعَ انقطاعٌ عن الصيفِ
مَن يفصلُ الغيمَ عن درَجاتِ البياضِ
ولا هالةٌ في السماءِ
إذا البدرُ ما كان في قَلْبِها
هل أنا قلتُ هذا أم ارتجَلوهُ فوافقْتُهُم؟
لستُ أدري
ولكنني لستُ أشتاقُهُمْ
إنّهمْ خَلْفَ أزْرارِ هذا القميصِ الخَفيفْ.

***

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

فَلْيَحْضُرِ التاريخ

فلْيَحْضُرِ التاريخُ فوراً
ولْيُلْغِ موعدَهُ مع الحرب التي ستَجيءُ أو
مع أيّ سِلْمٍ مُفترَضْ
ومع القضايا العالقاتِ بِجِبْرِهِ وخِرابِهِ
وإذا تذرَّعَ بانشغالٍ أو مَرَضْ
وإذا اعترَضْ
سأجُرُّه بيدي إلى غُرَفِ المعيشةِ بيننا
وأديرُ سَهْرتَهُ أنا
ليرى لأوّلِ مرةٍ ولَداً لَهُ وَجْهٌ، له صوتٌ
له جَسَدٌ حقيقيٌّ، له إسمٌ ثُلاثيٌّ

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

يمارس يومَه العاديَّ بين يدَيْهِ،
سوف أهيِّئُ الأقلامَ والأوراقَ:
أُكْتُبْ ما تَرَى.

ستَرى انتظاري
لا لمعجزةٍ،
(فإن المعجزاتِ فضيحةٌ للعقل)
لا لِتَفاهةِ الجِنِّيِّ والمصباحِ،
(هذا الكاملُ المنفوخُ أعجزُ مِن هشاشَتِنا)
ولا للنصر في غزوٍ وراءَ البحرِ،
(إنّي لا بوارجَ لي)،
ولكنّي انتظرتُ هنا، طويلاً،
بين جُدْراني البسيطةِ
فاكتُبِ الآن انتظاري.
قل هنا رجلٌ يقيم بالانتظار
ولست أدري ما بِهِ.

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

مكتبة أهمد

سترى هنا أُمّاً تُمَشِّطُ شَعرَ طفلتِها
لِتُرسلَها إلى جَرَسِ الصباحِ المَدْرَسِيِّ
ترِنُّ حُسناً في حديقةِ عُمرِها، وتَرِنُّ،
لا أحداثَ، لا جنرالَ، لا آثارَ مَجْزَرةٍ،
فقط أُمٌّ مع ابنتها
فَدَوِّنْ مِشْطَها وجديلةَ البنتِ الصغيرةِ
في دفاترِكَ التي
انشغَلَتْ بأحذيةِ المَمالِكِ عن وجوه الناسِ.
صَوِّرْ ياسمينتَها الوحيدةَ فوق دفترِها
ورائحةَ الصباحِ
على طريق السَّرْوِ والنَّحْوِ المُبسَّطِ
ثم تابع وَقْعَ خطوتِها على حَذَرِ الرصيفِ
وذُعرَ جَدَّتِها من الأخبارِ
إذ أخفته في منديلها القطنيِّ
تَعْقِدُهُ وتَفرِدُهُ بكَفَّيْها بلا نُطْقِ
ودوّنْ أنّ بنتاً مِن بلادي وهي خائفةٌ تماماً

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

سوف تنسى أن تَخافْ

لا تندهِشْ،
واكتب كذلك خوفَنا إن رَنَّ هاتفُنا
ولا تتكهن الأسبابَ، أنت مدبّر الأسبابِ، فاكتبْ
أننا نخشى رنينَ الهاتفِ الليليِّ،
هل فكَّرتَ يوماً أنّ هذا لم يُدوَّنْ في كتابكَ؟
أم تراه من اختصاص الشِّعر والشُّعَراءِ؟
لا يا سيِّدي، فاكتُبْهُ،
وليكُنِ اختصاصَكَ منذ هذا اليومِ
فالدنيا هواجِسُنا البسيطةُ لا طُبولكَ
أو كبائِرُكَ التي أدمنْتَ صُحْبَتَها
وبنتُ مُنَمْنَماتِ النفس والمكنون في العلنيِّ
والمخفيِّ في المرئيِّ
صافِحْ عَمَّنا بالحَطَّةِ البيضاءِ
عادَ مِن المَزارعِ كي يراكَ

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

وكان يُصْلِحُ فَجْوَةً بين السياجِ
وكان يُجْري الماءَ في القَنَواتِ
بين نشاطهِ وشُرودِ نظرتِهِ
ويَنْحَتُ بالخُزامى مستطيلاً
حول حوضِ قرنفلِ
ويقلّمُ اللوزَ الذي في ظلِّهِ دَفَنَ ابنَهُ
بقميصِهِ المثقوبِ في الحربِ الأخيرةِ،
كم بَكاهُ وكم بَكَيْنا
ثم زَوَّجَ بِنْتَهُ الكُبرى
وظل طوال عام يستعد لعرسها
وبدا كأن العرس فاجأهُ
أطلت دمعةٌ من جفنه، لمحاً، فأبعدها
فغنّينا على حَذَرٍ
فغَنّى.
ربما كرَماً يجارينا كما كنا ظَنَنّا
ثم غنّى بانسجام واضحٍ

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

حتى بكينا راقصينَ لبنتِهِ ولإبنهِ ولَهُ
وما أخفاه عنا، وانسَجَمْنا
والبنات نثرن ورداً
من سلال القش فوق الليل
صار الليل عيداً خالصاً من غير سوءٍ
لم تؤَرِّخْ مثلَ هذا ذات يومٍ
تستطيعُ إذا أردتَ
أما سئمتَ أوامرَ الضبّاطِ؟
أَصْغِ لقصةٍ من جدةٍ لحفيدِها
والنومُ يخطو حافياً حَذِراً
يمسَّهُما بِطَرْف رِدائهِ
ليساعدَ الإثنيْنِ
أن يصِلا بِلادَ الصُّبحِ مُرتاحَيْنِ
دَوِّنْ ما جرى للقلبِ،
دوِّن ما جرى في القلبِ
كُفَّ عن التّمَشّي في حِدادِ الناسِ

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

تُحصِي الحزنَ إحصاءً كما التُّجّارِ
واكتبْ عن بناتٍ
لم يُثِرْنَ فُضولَكَ الدمويَّ يوماً
بل نَثَرْنَ الحُبَّ حَبّاً في حقول خيالِهِنَّ
وكيف تركضُ لهفةُ امرأةٍ لفتح البابِ
ثم تعودُ خائبةً،
تأخَّرَ،
ثم تصبرُ ساعةً أخرى،
وتصبر ليلةً أُخرى:
أيُعقَلُ أن زلزالاً من الصّبواتِ والشهوات فيها
لا مكانَ لهُ لديكْ؟
إجلس وأجِّلْ وَصْفَ قائدِكَ المُفَضَّلِ،
مائلَ الكتفينِ
فوقَ خرائطِ الرملِ التي في قَبْوِه السريِّ،
يرسم خَطَّ تحريك الجنودِ الذاهبينَ
بلا سؤالِ

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

ثم دَوِّنْ حيرة الولَدينِ بعد النظرة الأولى
ودَوِّنْ رجفةَ الشفتين عند اللمسةِ الأولى،
ودوِّن خشيةَ الجسدينِ أنْ
يتسلَّلَ التاريخُ، يا تاريخُ، بينهما
فتجفلُ وردتانِ على المخدَّة منكَ، واعرِفْ
إسمَ بِكرِهِما الذي اختاراه بعد مناقشاتٍ
مع جميع الأهل،
سَمْعُكَ ليس يألفُها
ومثلكَ ليس يعرفُها
فلسنا كالرياضيات، لا تَجْمَعْ ولا تَطْرَحْ
سترى قريباً جاء مُضطَّرِباً يُعزّينا،
فلم يسمعْ سوى بالأمسِ عن موتِ ابن عمَّتِنا
أمينِ المعهدِ الوطنيِّ للمَسرَحْ
ولا تَعْجَبْ، لنا مَسرَحْ،
ولا بَلَدٌ لنا!
وافرَحْ.

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

كما نفرَحْ،
إذا نشروا قصيدة جارنا في
الملحق الأدبيِّ بعد غدٍ،
ودَوِّنْ لمعةَ العينين حين تَرى حفيداً بيننا
يلهو بنا ونَظُنُّنا نلهو بِهِ
وغداً سيكبرُ، هل سيكبرُ؟
والحكايةُ هل تكون كما سيحكيها كِتابُكَ؟
أم سنحكيها كما شئنا
وتتركنا نكون رُواةَ أنفُسِنا
أتعرف كيفَ ترسم بنتُنا دبّابةً وأمامَها ولدٌ
يَسُدُّ طريقَها بسذاجةِ الكفّيْن؟
لا تَسرَحْ بعيداً في خيالِكَ،
إنها قتلَتْهُ طبعاً
هل سمِعتَ طوالَ هذا العُمْرِ عن دبّابةٍ تَمْزَحْ؟

أعِدِ الرواية من جُيوب لُصوصِها

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

فروايةُ المظلوم تُسْرَقُ كالرغيف وكالمخازن

لا تُعَرِّفْنا كأضدادٍ لخصمٍ أنت قد صادقْتَهُ

وكأننا مِن قَبْلِهِ غيم تبدد أو ظِلالٌ أو ظنونْ

وكأننا من قبله شبحٌ بلا جسدِ

ومثلك لا يرى جَسَدِيّة الأجساد إن حزِنَتْ وإن ضحِكَتْ وإن ضجِرَتْ وإن فجرتْ وإن أرِقَتْ وإن سهرَتْ وإن رقَّتْ وإن عبسَتْ وإن أمِلَتْ وإن يئِسَتْ وإن عقِلَتْ وإن جُنّتْ وإن أجراسُها رنَّتْ بقصةِ حُبٍ انكسرَتْ وإن ضاقت بها الدنيا وإن فُرِجَتْ وإن خرَجَتْ لقاتِلِها وما فزِعَتْ

وأنتَ تُنيمُ كلَّ صفاتها في نصفِ سطرِ

ثم ترحل في مدرّعة لتتقن جدول الأرقامِ،

لسنا نشرةَ الأخبارِ

بل لسنا مُجَرَّدَ «خصمهم»

بل نحن «نحنُ».

لنا صفاتٌ قبل أن يصِلوا، وبَعد رحيلهمْ.

ونُصيبُ أحياناً ونخطئُ

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

أو يقال لنا انتهَيتُمْ، ثم نبدأ.
هل أطَلْتُ عليكَ؟
ترغبُ في الرحيلِ الآن، أعرِفُ
فلتُصاحِبْكَ السّلامةُ
لا تضع نعتاً لِتلصِقَنا علَيهِ
جيداً أو سيئاً فالنعت رأي
لا تقل كانوا «جميعاً»، أيَّ شيءٍ
نحن أدرَى مَن نكونْ.
إذهب وفكّر في الذي شاهدتَ
لا تقْدَح ولا تَمْدَحْ ولا تشفق علينا
لا تقل كانوا ضحايا
بل نُضَحِّي كي نكونْ.

***

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

أعرف أنّها لا تُجيب
لكني، بين غارَتَيْن
سألتُ الحَربَ أسئلةً بسيطة:

من أين تأتين بهذه الهِمَّة؟
أتَعْلَمين أنكِ لم تطلُبي إجازةً
من عملك على أرضِ البَشَرْ
منذ كان البَشَرْ؟

ألا تفكّرين ببيتٍ يخصُّك

telegram @ktabpdf
مكتبة أحمد

له باب ينجّرُه نجّارون حقيقيون
من خشبٍ مألوفْ
بابٌ إذا انفتح، يستطيع، كأمثاله،
أن ينغلق
ونافذة حين تُطِلُّ على مَشْهدِ
فإنها لا تُغيّره؟

ألم تُصادقي يوماً مخدّة؟
ألا تفكرين بغرفةِ استقبال
تقدمين فيها لضيوفك
شاياً غير مهدَّدْ
وموسيقى بلا نحاس؟

ثم تعالي نتحدث في أمرٍ مُحرِج:
حتى العنزةُ تنظف مكانها أيتها الحرب
وأنت لا تنظفين مكانَك

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

كيف تَسْحَرين ضحاياك للقيام بخدمتك
حتى وهم، بأكملهم، داخل البكاء؟
حتى أدواتُ عملكِ اليوميّ
هُم يوفرونها لك
يجرّون لك الثقيل والخفيف
ويهيئون لك الذرائع
يجددون لك الإقامة
يحملونك على ظهورهم المكسورة
ليجوزوا بك الجبال والمنحدرات والأنهار
وتجاعيدَ الليل
يزيحون من طريقك القلاع والعقل
وفي المشهد الأخير
هُم من يحفرون، على عَجَلٍ،
ما لابد من حَفرِهِ
ويرتّبون الصمتَ الأبديّ
في صناديق الخشبْ

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

يحيّرهم حذاؤك الموهوب،
حذاؤك القادر.
كيف تظهرين في مكانين في وقت واحد؟
في ثلاثة أماكن؟
يحيّرهم كيف تحتفظين بهذا القوام
وأنت تأكلين كلَّ ما يخطر ببالِك؟
ألهذا يُغرم بك صاحب الرُّتْبةِ على الكَتِفْ
وصاحب الأرصدةِ في البنوك؟
وما لديهما من خدَم؟

لم أرَكِ يوماً تعتنين بعجوز أو حديقة
تكرهين السقوف
ونظافة الممرات
وثبات الأدراج
ورفوفَ المخلّلاتِ في المطابخ

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

تحبين الأجسامَ الناقصةَ تماماً
والحدَقاتِ الثابتة تماماً
والجسرَ المحنيَّ على رُكْبَتِهِ المكسورةِ
في ماء النهر
وفِرارَ الناس من الناس
والأيدي المعقودة، ذعراً، فوق الرأس
والشجرَ الأفقيّ

ثم لماذا تكرهينهم تحديداً،
لماذا تكرهينهم إلى هذه الدرجة،
الأطفال؟
ألأنهم، مِن ورقٍ ومِن رملٍ
وعلى دفاترِ الرسم،
يبنون بيوتاً أينما ذهبوا
وأنت، يوماً، لم تضعي طابقاً
فوق طابق،

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

أو حجَراً فوق حجَر
أم لأن الأطفال سُقوفُ أجدادِهم؟
أم لأن الأطفال هم البيوت؟

أرباحكِ أحياناً صغيرة:
مزقةٌ من شال جدّة
صندلُ طفلةٍ نُقِشَتْ عليه زهرةٌ
تبدو كزهرة
طمأنينةُ دوريٍّ يدرس بمنقارهِ
نضوجَ حبّة تينْ
استعدادُ عاشقَيْن لِما يستعدّ له عاشقانْ
شهوةُ فتاةٍ انتهتْ قبل أن تعرفَ
ما يخبئهُ الرجالْ
ركوةُ قهوةٍ ستغلي، لو نَجَتْ، بعد دقيقتيْن
ساقُ فارسٍ برونزيٍّ
تمشي وحدها خارج المتحف

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

راكضٌ يُصابُ بالإسمنت
جدرانٌ تصاب بالركض
شُرفةٌ في الأعالي تصاب، فجأةً، بالجاذبيّة
ونظّارةُ ولَدٍ بَعُدَتْ عن أنفهِ مئات الأمتار
فعاشتْ،
وماتْ

وأرباحُكِ أحياناً كبيرة:
مدنٌ بكامل غُموضها وسَهَرِها
غاباتُ النُّمور،
سُهوبُ الفِيَلَة،
لهفةُ المعابد،
احتمالاتُ الجَدِّ في الجنينْ،
أسوار الذَّوْد، أرَقُ الفلاسفة،
عضلاتُ الأبراج، وذهولُ الناجينْ
كيف جعلتِ الحصان الخشبيّ، الفصاحةَ، الرغيفَ،

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

الكرامةَ، النفط، الناقة، الفيزياء، القداسة، الوشوشة،
الحدود، الخرز الملوّن، قُبلة هيلين، وعود الآلهة –
والسلامَ ذاتَه – عبيداً لخطوتكِ الآمِرَة؟

وأخيراً أيتها الحرب

لماذا لا ينتهي عملك عندما ينتصر المنتصر

لماذا لا ينتهي عملُكِ عندما يُهْزَمُ المهزوم؟

جلستُ منصتاً

لعلها، هذه المرة، تجيب

لكني لم أسمع

إلا دَوِيَّ الغارةِ التالية

***

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

القريةُ سَكَتَتْ في العامِ الأوّل

حين قرّرَت الشمسُ أنّ بقاءَها يتطلبُ
أن تأكلَ طِفلاً كلَّ صباح
لم تعرف القريةُ ماذا تصنع بهذه اللعنة

الشيخ ذو الوجه الشبيه بالجلد المدبوغ
والارتياح الدائم
قال أين اللعنة،
فلتأكل طِفلاً كلَّ صباح

القريةُ سكتَتْ في العام الأوّل

telegram @ktabpdf
مكتبة أحمد

سكتت في العام الثاني
والثالث والعاشر

مات الشيخُ بضربةِ شَمْس

في اليوم التالي
في الحيِّ الأكثر فقراً في القرية
طفلٌ، لما جاء عليه الدَّوْرُ، بكى
ضربتْهُ أُمُّه
ضربَهُ أبوه
ضرَبَه الرَّجُلُ البدينْ،
حتى الرَّجُلُ الهزيلْ،
ضرَبَهُ أيضاً
والطفل يستغيث:
- لا أريد أن أموت
- سنموت جميعاً إن لم تأكُلْكَ الشمسْ

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

مكتبة أهد

أكلَتْهُ الشمسْ.
النساءُ الفائضاتُ الوزن
بجلابيبهن البرّاقة
وأساورهن القليلة الثمن
رقصن في الساحات فرحاً
وأطلقن الزغاريد

في اليوم التالي
صرَختْ طِفْلةٌ في حيٍّ مُجاوِر
- لا أريدُ أن أموتْ
اليدُ التي ارتفعَتْ لتضربها
بوغِتَتْ بيدٍ أخرى تمْنعُها
تكاثَرَ المدافِعونَ عن البنتْ.
رأوا ارتعاشَ رموش المعتدين
وارتخاءَ أصابعهم حول عنق البنتْ
انتزعوها من جلسة العِقابْ.

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

نظرَتْ أعينُهم إلى أعينِهِمْ بصمتٍ كامل
صمتٍ كأنه
أصابعُ تُمَرِّرُ رسالةً تحت بابٍ مُغْلَقْ
ثم تدافعوا
إلى كَهْفٍ كانوا خبّأوا فيه سِرَّهُمْ
ومعاً
أخذوا يَرْشُقونَ الشّمسَ بالرِّماحْ.

***

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

مَدَّتْ يدها

telegram @ktabpdf

مغْبَرَّةً، حافيةً، جالسةً على التراب،
بين صفوف الخيام التي بدا عليها الاهتراء
أمامها صَحْنٌ وزَّعَتْهُ بَعْدَ طول انتظار
إحدى لجانِ الإغاثة،
على أنفها لحسةٌ من الحِساءْ
وفي يدها بعض رغيف.
اقترب منها مصور أجنبيّ
ليلتقط صورة تُلَخِّص بؤسَ المخيَّم
وتُعْجِبُ رئيسَ التّحرير ما وراء البحر
الطفلةُ ذات السنوات الثلاث أو الأربع

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

التي مات أهلُها في ذلك البحر
مَدَّتْ ذراعها اليمنى على آخرِها
نحو الصحفيّ الطويل القامة
كأنها تشير إلى نجمة
لتُطعِمَهُ قطعةَ خبزْ
ظانَّةً أنه، مثلها، لم يأكُلْ منذ ثلاثةِ أيّامْ.

***

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

سنة ويوم واحد

سنة ويومٌ واحدٌ أو ربّما يومان عُمْرُ البنت
والشَّفَتانِ لم تتجاوزا لغة الرِّضاعةِ
والحروف عسيرةٌ، ووشيكةٌ،
نلهو فنسألها عن الأسماء، ملهوفينَ،
تَنْكَسِرُ المعاني في أصابعها وفي غمّازتيْنِ
تُحاولان الردَّ باللثْغِ الصحيحِ
فتضحكُ العمّات والخالاتُ
مِن قاموسها العبثيّ
نَطرَبُ كلّما جادَتْ بتأتأةٍ بلا معنى
ونسهرُ كي نُفَسِّرَها،
- ستحكي، أوشكَتْ أن تنطقَ اسمي

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

قال والِدُها، ويَكْذِبُ.

فالقذيفةُ سوف تَضْرِبُ أوَّلاً

والبنت ماتت

دون أن تتعلَّمَ اللُّغَةَ التي كَتَبَتْ لها

هذا الرِّثاءْ.

***

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

تَمُرُّ الحياةُ بنا

تمرُّ الحياةُ بنا من زُجاج القِطارْ
كَوَمْض القِطار المُعاكِسِ في النافذة.
وتُفْزِعُنا فِكْرَةُ الإرتطامْ.

وفي هذه الومضةِ العابرة
نتذمّر مِن طول أعمارنا، ضَجِرينَ
ونملكُ ان نتخاصمَ دهراً، ونقسو
لكي نخسرَ الحُبَّ،
أو صاحباً،
أو بِلاداً بأكْمَلِها

telegram @ktabpdf
مكتبة أحمد

حين يلهو بنا من يظنُّ الحياةَ أبَدْ

لا أَحَدْ
يتحمَّل نافذةً في قِطارْ،
لا الحبيبُ المُوَدِّعُ فَجراً،
ولا عاشقٌ للغزال
ولا مولَعٌ بالشَّجَرْ.

يختفي من نُحِبُّ بلمْح البَصَرْ.
يختفي كلُّ شيءٍ
قُبَيْلَ التكَوُّنِ في حاضرِ العَيْنِ،
يُصبح ذِكرَى لما لم نَعِشْهُ
وتَفضحنا النافذة.

كأنّ بنا فَزَعاً مِن مفاتننا،
او نقائصِنا

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

أنْ يراها النهارْ

كأنّ غزالاً
على أفُقِ العشْبِ يلهو ويلعبُ
مُنْتَشِياً بغزاليَّةِ الطفل فيهِ
ودُنْياهُ نافذةٌ لا جدارَ لها أو إطارْ
ومِهنتنا، كلُّ مهنتنا،
أن نُسَدِّدَ رُمحاً إلى صدرِهِ
ثم
نَعْشَقُ فِكْرَتَهُ
مِن زُجاج القطارْ

***

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

تعال وانظر!

تعال وانظر إلى الأشجار:

تحبسها الريح في قبوِ الشتاء

تمزق ثيابها وتترك عُرْيَها، مستوحشاً،

يرجف

لا الطير يجرؤ على زيارتها ولا النحل

في جبهة حربِها الصامتة

يهمس غصنٌ ذكيٌّ لآخر:

تَمَهَّلْ.

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

«ليس هذا وقتَ الثمر أيها الأرعن»

يُطيعُ الغصن صاحبَهُ طاعةً كاملة،
كاملةً كالفراغْ.

الأشجار تبدو قُرى مقصوفةً هجَرَها سُكّانُها
أخذوا معهم ألوانَها وظِلالَها
وتركوا حولها صعوباتٍ مدوِّية:

لا أحد يشاركها الأنين
تحت لكمات الرَّعد
وجلسات التعذيب بكهرباء البرق.
وإهمال المارّة

تعال وانظر
لأن كثيرينَ

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

لا ينظُرونَ إلى حقلٍ يكْسوهُ اللاشيء
لأن العظيمَ لا يفسِّر غُموضَه
لأنها مثلَنا تحارب تحالُفاً من ثلوج الشمال
وضبابِ الآلهة،
وقِلَّةِ النَّصيرْ،
ولأن الاحتمالاتِ مفتوحة
عَلِّمْ قلبَك كيف يثق بصمتها

الأشجار التي بَدَتْ لك، مثلنا، ميتة
كانت تحاول طوال الوقت،
كانت تحاربُ طوال الوقت.

وفي يوم معلوم،
ولأنّهُ لا شيءَ يخجَلُ مِن أَوانِهْ،
يهمسُ غُصْنٌ ذَكِيّ:
«الآن.

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

الآن أيتها الأغصانُ التي صَبرَتْ
الآنَ أيتها الأغصانُ التي تحمَّلَتْ
الآنَ أيها الرفاق»

***

مملكةُ الأوراق
تفتح أبوابَها للطير والنحل
ونحن البَشَرْ
نُهَيِّجُ السِّلالْ.

وفي يومٍ معلومْ
يفتح أحَدُهُم الستار:
سلَّةُ الفواكِهِ
التي تتوسَّطُ المَشْهَدَ المنزِليّ
تتوهّجُ
كالنّصر.

***

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

كم سَهَراً وكم مَهارةً
وكم تخصصاً وكم تردداً وتضحية
تحتاجُ إن أردتَ صُنعَ آلةٍ رخيصةٍ أو غاليةْ؟
وكل ما تحتاجه إذا أردت صُنْعَ طاغيةْ
أن تنحني.

***

لا، ليس خرتيتاً وليس مُعجِزَة
بل ربما يشبهُني ويشبهُكْ
وهذه ليست كما حسبتَها، أظلافَهُ
بل إنها أظافرٌ عاديةٌ،

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

كأنها أظافري،
كأنها أظافرُك،
نعم.
وليست هذه حوافِرَه
بل إنها حذاؤه، مَقاسُهُ ثمانيةْ،
أو تِسعةٌ كما أظُنْ
نعم.
ووَزنُ جِسْمِهِ، ليس كما تراهُ، نصفَ طنْ،
بل مثلنا، سبعون، قُلْ تسعينَ، كيلوغرامْ
وليس هذا قَرنَهُ، بل أنْفُهُ المرفوعُ واثقاً،
حتى وإن أَصابَهُ الزكامْ
نعم. وإنه يُصيبُهُ الزكامْ
نعم. وقد يُصيبهُ، كما يُصيبكَ، النزيفْ.

***

هو لا يأتي من أكتاف الغيماتِ إلى كرسيِّه
بل من أكتافِكَ أنتَ وأكتافي

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

ويُدَلّي رِجليْهِ على سَرْجِ الوقتْ،
وأؤكد أنّ له رِجليْنِ فقط لا سِتّ

يهوَى المِرآةَ وتهوى أن تهواهُ ويَهْواها
ويُحِبُّ القانونَ فلا يقتلُ نَفْساً، أو يهدِمُ بيتاً
أو يَذْبَحُ بِضْعةَ آلافٍ إلا بالقانونِ
وفي عَهْدِه
تبدو الآمال إهاناتٍ لذكاء الناسِ
فتومضُ كي تَخْبو
وتعود تضيء بلا سببٍ معروفْ

يترجم ارتعاشَهُ صلابةً مهما جرى
لأنه يريد منا أن نكون ماءْ
آراؤنا رأي الإناءْ
يريد أن يرى رُكودَنا المقيمَ دائماً
في قاعِ كُوبْ

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

يريدنا أن ننحني إذا انحنى الإبريقُ في يَدِهْ
ونحبسَ الكلامَ في الحلوق
لكننا حين انتوينا كلُّنا، ما ينتويه الماءْ
عَلَتْ يداهُ باستغاثةٍ أخيرةٍ
واستغْرَبَ الغَرَقْ

***

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

مهما كان ثقيلاً

مهما كان عصيّاً

لا يُخيفُني القفلُ الذي أراهُ بعينيّ

القفل الملموس،

المادي،

المُعْلَنْ،

الذي يُشْترى من السوق،

القفل المدلّى على البوّابة

والحقيبة

والمخزن،

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

هذا قفل بوسعي أن أدير فيه مفتاحاً
أن أزيل عنه الصدأ بِرَشَّةٍ من WD40
أن أفُكَّ ألْغازَهُ بعد تعب
بوسعي أن أستبْدِلَهُ
أو أن أتركَهُ مكانَه
احتراماً لرغبتِهِ المُعلَنَةِ
في الدفاعِ عن قيمةِ ما يَحرُسْ
وبوسعي أن أكْسِرَهُ لو كان على باب زنزانة
(وإن كان هذا قد يحتاج ملايين الأيدي)

لكنْ
القفل الذي لا تراهُ العيْن
ولا تلمسهُ اليَدْ
ولم يصنعه الحَدّادْ
القفلُ المتروك للتكهن والاستنتاج
القفلُ الخفِيّ الذي يغلقك تماماً

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

والذي تحدثني من خلفه
حديثاً غريبا لا يقبلُهُ عَقْل
قفلُكَ هذا
يُفقدني، تماماً، أيَّ رغبةٍ في النطق
فأتذرع بأنني تأخرت
وأن عَلَيَّ الذهابْ.

***

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

في مديح الأشباح

قد يخطفون الصغارَ من الفِراشْ
أو يكسرون عليهم الحائط
أو النافذة
أو السقف
قد يعذبونهم في القبو
لكل هذا
يخاف الأطفال حكاية الأشباح
لكنهم
بمزيج من الذعر والسرور
يطالبون أمهم كل ليلة بالحكاية المخيفة

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

وبعد حضنٍ تعودوا عليه،
وابتسامةٍ، وقُبْلَةٍ على الجبين
يدخلون إلى النوم، ببطءٍ واطمئنان
كقاربٍ يَرْسو

لهذا فإنّ الجنودْ
الذين داهموا ليلَ المنزل
ببنادقَ محشوَّةٍ بقَرار القَتْلْ
وحشَروا العائلةَ كلها في الرُّكْنْ
لم يفهموا ابتسامة الأطفال وهم يتهامسون
لا تخافوا. لا تخافوا
هؤلاء هم الأشباح
لا تخافوا
فالأشباحُ ليسوا أشراراً
إنهم يتركوننا دائماً بِخَيْر

***

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

القبطان

أرى خشباً طافياً بجواري
وقرب القريبين مني
ولكننا قد غرقنا تماماً
وهل يغرق المرء إلا تماماً؟
فقبطان رحلتنا راح يلقي بنا
واحداً بعد آخر من سور باخرةٍ
كم رقصنا بأعيادها
ليكون الوصول له وحدهُ
أو لمن كان يشبههُ
أو لمن صار يشبههُ

telegram @ktabpdf
مكتبة أحمد

أو لمن سوف يشبهه

والسفينة، ركابها الآن أعداؤها

والطريق اختلف

تأخر عن وقته كل شيء

تبكر عن وقته كل شيء

وهذا التلف

جديد قديم

ووجهتنا لم تعد واحدة

***

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

إصغاء

مهما قلت

مهما أتقنت الكلام

لن تسترد قلبي

لأن قلبي

يسمع الذي لا تقوله

***

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

دون ضجة

هادئاً، دون ضجة،

مثل حقل الشموع في كنيسة

متطلباً،

كصندوق النذور

بريئاً

كطفلة تقول للضيف أنا لا أحبك

صامتا،

كشلال لا يدرك سبب هديره

ذكيا

كبراعم آذار المسلحة بشوكها الضروري

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

مطمئناً

كابتسامة طبيبٍ بعد قراءة النتائجْ

يُقبِلُ وَجْهُها عَلَيّ

محاطاً برِضا الوالدَيْن، ودعوات الجدّاتْ

أقول لنفسي

ستنجو. ستنجو

وسوف أصحبها معافاةً إلى بيتنا

وندعو الأصدقاء

الذين قلقوا طوال السنوات الأربع الأخيرة

إلى احتفالٍ كبير

ولم أكن أعْلَمْ

وأنا أجُرُّ قدَمَيَّ وحيداً في الشارع

أنّ ذلك كُلَّهُ

كان طريقتَها

لكي تودِّعَني

الوداعَ الأخيرْ

***

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

أَعرِفُهُم

أَعْرِفُهُمْ
مِهْنَتُهُم إطلاقُ النار على الفِكْرَة
لكنْ،
أين تقيمُ الفِكْرَةُ بالضبطْ؟
أتقيم الفكرة في البيت؟
كم رفعتْ بنتٌ يدها في ليل الأنقاض
تنادي: يوجعني السقف
أتقيم الفكرة في الحقلْ؟
في الشمس الفكرةُ أم في الظِّلّ؟
في صُبْحِ الديكِ الصائحِ أعلى التلّ؟

telegram @ktabpdf
مكتبة أحمد

قالوا:

أطلقْنا النارَ على الصبح

وعُدنا للأنقاض فدمرناها ثانيةً

أم أن الفكرة تَسْهَرُ في الليلْ؟

لاحقْنا السهرةَ حتى حَبِّ الهال وركواتِ القهوة

أغلَقْنا بواباتِ الليل بأقفال الخوفْ

وتركناهم مفجوعينَ

كَوَعْلٍ تركَتْهُ سفينةُ نوحْ

أتُقيمُ الفِكرةُ في أشعارِ جُدودِهم الأولى؟

أَمْ في الإبنْ؟

أين تماماً في الإبنْ؟

في الصدر أم العينينْ؟

في الروح أم الفخذيْنْ؟

أين تقيم الفكرةُ؟ أم فِكرتُهُمْ ينقُصُها الأيْن؟

هل تحيا الفكرةُ في القتلى؟

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

فلنَقْتُلْ كلَّ مقابرِهمْ،
فليَمُتِ الموتى ثانيةً
أعرفهم
أخذونا للموت مراراً
أخذونا للموت جماعاتٍ وفرادى
والدهر مقيم
واللغز مُقيمْ.

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

لَسْتُ قبيلةَ نَفْسي

نُحَدِّقُ فيها جميعاً
ونحن زؤانٌ وقمحٌ،
جَمالٌ وقبحٌ
فتعكِسُنا صورةً واحِدة!
المرايا
التي علَّقَتْها القبيلة

هنا، الإبتسام يُعَدّ لنا سلفاً،
والإجاباتُ والإنسجامُ،
وأنا لا أطيق انسجامي

telegram @ktabpdf
مكتبة أحمد

فصمتي يجادل صوتي
وعيني تكذّبُ أُذْني
أعيش اليقين لبعض ثوانٍ
وأهمس للشك خذني
وأصدق حيناً وأخطئُ حيناً
وقد أتناقض حتى الفضيحةِ دون اعتذارٍ
وأسأل حتى تملَّ الإجاباتُ مِنّي
وكل يقين يبارزني أتقيه بِظَنّي
وأنْبَتُّ عنهم وأغضبُ
ثم أعود وأنبَتُّ ثانيةً بعد حينٍ
فلسْتُ قَبيلةَ نفسي
وما زات أعجبُ
كيف تكون القبيلة واثقةً هكذا
بينما كل فرد بها مرتبكْ.
وأصبحَ عُمري سؤالاً:
كَسَرْتُ المَرايا التي علَّقَتْها القبيلةُ في غرفتي؟
أم، تُرى، كَسَّرَتْني؟

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

في صقيع لَيلِهِمْ
والويلُ يدق كعبه المعدنيّ
مقترباً من الجميع
أنا الواقف مستعداً لتقديم العَوْن
راضياً بالتّحَمُّل
مشتهياً لو كنت أقوى وأذكى وأصفى
لأكون جديراً بأن ألبّي
ماذا أفعل وأنا أراهم
(وهم يمشون إلى ما أخشاه)
يغلقون عليّ الباب كمِرآة في الظلام
ما شغلُ المِرآة عندما لا ينظر فيها أحد؟

telegram @ktabpdf
مكتبة أحمد

ماذا تصنع مِرآة وحيدةٌ في الظلام؟

***

الذكي من بينهم يتسلل إليّ خلسة

- كن معنا، ثم ...

- لكنكم غادرتم حافة الجرف

أنتم في هواء الهاوية

في منتصف الهواء

- لسنا حجراً فنسقط

كن معنا، ثمَّ ...

وأطال الشرح

كأنّهُ ما زال يملك صوتاً

وكأنّه ما زال واقفاً بأكملِهِ على الأرض

لم أقل شيئاً، أو ربما قلتُ ولم أسمَع

ففي ليلِ هذه المنحدرات

الذي سيهلكني أيضاً

كان دَوِيُّ ارتطامِهِمْ

يطغى على كل شيءْ

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

نُسَخ

الذي في بالهِ ليس أنا
بل نُسْخَةٌ عنّي
هو الذي كَوَّنَها في رأسِهِ
فيها القليلُ غالباً
أو ربّما الكثيرُ من حقيقتي
وظن أنها أنا.

يبين هذا الأمر في إشارة أو طلَبٍ
أو زفرةٍ أو نظرةٍ أو لهجة عند الحوار
أو توقُّعٍ أو في نصيحةٍ

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

أوقصة تروى بشكل ما

وغيرُهُ لديه نسخةٌ ثانيةٌ،
ثالثةٌ وعاشِرَة

ومنهم الصديقُ والحبيب
والموظف الرسميّ
والبقّالُ وابن الخالِ والمُديرُ
والشرطيّ عند الحاجز الأمنيّ
والقنّاصُ وابنُ الجارِ
والزميلُ في الزنزانة المجاورة

أوْصافُهُمْ هي التي تُحَدِّدُ التعريفَ
لا وَصْفي أنا

وعندما حاولتُ فَهْمَ اللّغزْ

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

أدركْتُ أنني كالعملةِ المزوَّرَة
تبدو كأصلها لكنها بعيدةٌ
ثم انتبهتُ أنني كرَّرْتُ فِعلَهم
وربما صنعتُ كلَّ واحدٍ
على هوايَ لا على هَواهْ
ألّفْتُهُ كما ألّفَني،
زوَّرْتُه كما زوَّرَني،
عامَلْتُهُ كأنه سِواهْ

لا يعرفونني بالضبط
ولا أنا أعرفهم بالضبط
وهكذا احتملْتُ مِثْلَهُمْ
هذي الحياة

***

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

الاستقامةُ مثلاً
ما معناها عندما يتعلق الأمر بالقرميد
هل ينفع القرميد إلا إذا كان مائلاً؟

***

الغفرانُ مثلاً
يبدو عقاباً موجعاً للعاشق النبيل
خير لك أن تتشاجر معه شجاراً قصيراً
يبدأ وينتهي
دع الغفران جانباً
فالغفران شكلٌ من أشكال القَسْوَة

***

telegram @ktabpdf
مكتبة أحمد

الإحسان مثلاً

أنت، راضياً وواثقاً، تدعوني إليه

وأنا، متشككاً في ثقتك ورضاك،

لا أريد أن تظل اليدُ السفلى في مكانها

واليد العليا في مكانها

لهذا أنت تُعَيَّنُ وزيراً

وأنا

أفكِّرُ في ما يَجِبْ

***

الاطمئنانُ، مثلاً

ماذا أفعل به انا المؤلف؟

بل ماذا يفعل بي إن تمكَّن مني

الاطمئنان قاتل محترف

يعانق ضحاياه لتهدئتهم

ثم يخنقهم بالحرير

وإن لَمَحَهُم عن بُعد

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

أطلق عليهم الرصاص
هنا ينبغي أن أتسلَّحَ بالقلَق
وأعقِدَ حلفاً مع الشك
لأعيد تعريف البطولة:
بُطولةُ الشّاعِرِ مِمْحاتُه

***

telegram @ktabpdf
مكتبة أحمد

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

سوء تفاهم

رائقاً، واثقاً،
العَريفُ يقدِّمُني للحضورِ:
«سيشدو لنا بُلْبُلٌ من بِلاديَ هذا المساء»

وفوراً تبلبلتُ واختلط الأمر فعلاً عليّ
وكنتُ نَسيتُ جناحَيَّ في البيتِ،
بل جئت، يا للفضيحةِ، مرتديا بدلةَ الصوفِ،
قلت لنفسي:
مِن الصعب أن يكسُوَ الريشُ جسمي
نزولاً على أمر هذا العَريفِ

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

المُصِرِّ على انني بلبلٌ
نَظَرْتُ
ولم أرَ دَوْحاً هُنا أو سَماءً تحيط بطاولتي
بل جُموعاً مِن الناس تُشْبِهُني
قلتُ كيفَ أرفرِفُ فوق غصون الكراسي
بلا أجنحة؟
وكيف أزقزقُ شِعري
ومنقاريَ الآنَ ليس معي،
فأنا ليَ أنفٌ يثبّتُ نظّارتي
ثم فتَّشْتُ،
لا ذيلَ لي كي يساعدَني في الدّلالاتِ
لاحظْتُ حَجْمَ حِذائي، وغِلْظةَ صوتي،
وهَبْني نطَقْتُ
فماذا ستنفعُني شفتايَ بيومٍ كهذا
وكنت أظنّهما تَلْزَمانِ إذا العِشْقُ يوماً
تَطلَّبَ بعضَ الكلامْ

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

وكنت أظنّهما لِبناءِ المعاني
وصيدِ المُخَبّأ في الظاهريِّ
أو الإعتراض على طاغيةْ
وكنت أظنّهما تصلحانِ
لنُطقي بِ «لا» أو «نَعَمْ»
وأنا لم أطِرْ في الفضاء إلى قاعة الأمسية
بل أتيت لكم ماشياً
فوق أسفلت هذا الطريقْ
وعلى الرف في منزلي عُلَبٌ للدواءْ
تقوم بواجبها بين حينٍ وحينْ
ورَفُّ المَسَرَّة أيضاً عليه من الحين للحينِ
بعضُ النِّداءْ
وهذا العريفُ البريءُ،
يُقَدِّمُني واثقاً، رائقاً، للحضور:
«سيشدو لنا «بلبلٌ» من بلاديَ هذا المساء»!

***

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

كشُرْفَةٍ سَقَطَتْ بِكُلِّ زُهورِها

إلى محمود درويش

في هالةٍ تُخْفي حَياءً كامِناً،
وبِكِبْرياءِ خُطاهُ في المنفى وأرضِ عذابِهِ،
تَسري مَوَدَّةُ قَلبِهِ قمَراً يضيءُ، بغير إلحاحٍ،
على أصحابِهِ.

وبِهِ اندِهاشٌ يوقِظُ المألوفَ مِن إغمائِهِ
وكأنهُ يحمي طفولتَهُ بِمَكْرِ شَبابِهِ

العَقْلُ فيه مغامِرٌ،

telegram @ktabpdf
مكتبة أحمد

والقلبُ هيّابٌ يفِرّ من التّمادي في الهوى،
وصفاءُ عينيه الصباحيُّ احتفالٌ بالقَصائدِ،
والقَصائدُ لا تُرَدُّ ببابِهِ،

خذنا إلى الكُحليِّ يا بحرَ البلادِ
وطُفْ بنا في العالَم المفتوحِ،
أَسْمِعْهُ ارتعاشَتَنا
وقِصَّتَنا المقيمةَ في دفاترِ شاعرٍ
مذ غَيَّبَتْهُ الأرض سَلَّمَتِ العيونُ بما رَأَتْ
وقلوبُنا لم تعترِفْ بغيابِهِ.

وكأنّهُ إذ ماتَ أخْلَفَ ما وَعَدْ.
وكأنّنا لُمْناهُ بعضَ الشيءِ يومَ رحيلِهِ.
وكأنّنا كُنّا اتّفقْنا أن يعيشَ إلى الأبَدْ.

«محمودُ إبنُ الكُلِّ» - قالتْ أمُّهُ،

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

وتراجعَتْ عن عُشبِهِ، خَفَراً، لِتَنْدَفِعَ البَلَدْ.

يا ويحَها «حُوريةٌ»،
هل أدركَتْ أنّ البِلادَ لِتوّها
قد وَدَّعَتْ مِن كلِّ عائلةٍ وَلَدْ؟

***

محمودُ نامَ هنا
ومَرَّتْ حَفنةٌ عبر الحواجزِ
من تراب «البَروَة» الممنوعِ
لانتْ تحت دهشتِهِ ونامَ،
وفوق تَلٍّ لا يُطِلُّ على الجَليلِ
رأيتُ غيْماتٍ قِصارَ العُمْرِ
تبدو، ثم تضمِرُها السَّماءُ، كأنّ أبيضَها
يُصاحِبُهُ إلى عنوان «غرفتِهِ الأخيرةِ»
كي يؤنثها، فيرضى عن أناقةِ ما يَرى.
كلُّ الطقوس تعطَّلَتْ فيها:

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

فلا مِرْآتُهُ الأرابيسك ترمقهُ يسارَ البابِ
لا قَلَمٌ يضيفُ إلى الفَراشَةِ ما سيُدهِشُها
مِن الأوصافِ،
لا القرآنُ فوق الحامل الفضِّيِّ
عند يمينِ زائرِهِ
ولا سيجارةٌ في الدُّرْجِ يخفيها حياءً
من صديقٍ
لا مُسَوَّدَةٌ يمزِّقُها ليتقنَها
ولا كُتُبٌ منَسَّقةُ الرفوفِ وراء مقعده الأليفِ
ولا صباحَ هُنا ليَكْتُبَ،
لا مساءَ ليقرأ الإغريقَ ثانيةً، ويحسِدَهُمْ
نعم. كم كان يحسدُهُمْ
لأنَّ هناك في الأوليمبِ آلِهةً
تُعِيدُ تَوازنَ الدنيا إذا مالتْ على أبطالِها.

مِترانِ أو أدنَى قليلاً

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

فوق تلٍّ لا يُطِلُّ على الجليلِ
وغُرْفَةٌ، هذي الأكاليلُ الركيكة فوقَها،
وركاكةُ الزعماء والخُطَباء، مِن أقفالِها.

ماذا سيأخذُ منك قبرُكَ في بلادٍ كنتَ أطلقْتَ
الخيالَ كهُدهدٍ يطوي الجهاتِ
لكي يُحيطَ بحالِها.

لاحَقْتَ سارقَها/ عَدُوَّكَ،
واضطربتَ جوارَ حاكِمِها / صديقِكَ،
واقتربْتَ من الأيادي المخطئاتِ
وكان بعضُ النأي أَوْلَى
عاتَبَتْكَ لِلَحظةٍ أو لحظَتَيْنِ،
لِغلطةٍ أو غلطتَيْنِ
وسامَحَتْكَ مَدى الزّمانْ.
«هو واضحٌ حِيناً، وحِيناً غامضٌ» قالتْ،

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

ولكنْ راقَها سِحْرُ البيانْ.

وهَوَى الفِراقُ
كَشُرْفَةٍ سَقَطَتْ بكُلِّ زُهورِها
وكأنها زمَنٌ تكسَّرَ في المكانْ

لا بُدَّ مِن يومٍ كهذا
كي نرى في كلِّ فلسفةٍ غيابَ كَمالِها،
وهنا يزوغ يقينُنا والشكُّ، أو يتثبّتانْ.

وهنا تَساوَى العابدونَ بكلِّ ما عَبَدوا
أمام فِرار لُغزِ الكوْنِ مِن لَمْسِ البَنانْ.

شَرْقُ الزَّمانِ وغَرْبُهُ
في دَمْعَةٍ يتَشابَهانْ.

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

نُصِبَ الكمينُ لنا كأبهى ما يكونُ
ونحن نركضُ نحوهُ كي نَتَّقيه، سُدىً،
ونركضُ،
كلُّ إفلاتٍ إلى حينٍ. وهذا اليومُ حانْ.

وخدَعْتَني.
صارَعْتَ موتَكَ مَرَّةً، ونجوتَ منهُ
لكي أصدِّقَ، بالتمنّي والسذاجةِ،
أنه خَسِرَ الرِّهانْ.

وعجِبْتُ بَعدَكَ
كيف أحيا بعضَ أحيانٍ،
وكيف أموتُ مِن آنٍ لِآنْ.

هذا كتابُك في يدي بَعْدَ الغيابْ.
شِعرٌ تُوَقِّعُهُ بمَوْتِكَ غيرُه في حفلةِ التوقيعِ:

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

تقرأ خلف موسيقى من الإصغاءِ،
- «مبروكٌ كتابُكَ»،
ثم يبتسمونَ،
«وقِّعْ لي هنا»،
«وقِّعْ لِأُختي وابنِها أيضاً»
وأنتَ تُوَقِّعُ اسمَكَ
خَلْفَ طاولةٍ من السَّهَرِ الأنيقِ،
وخلسةً،
يتسلَّلُ الموتُ المُسِنُّ إليكَ كُرسيّاً فكُرسيّاً
يقودُكَ مِن يسارِكَ نحو دارِكَ كي
يشاركَ ما تبقّى من نهارِكَ
يا وحيداً باختيارِكَ واضطرارِكَ
(فالفلسطينيُّ يختار اضطراراً
كي يُصَدِّقَ أنه حُرٌّ)
ووحدَكَ كنتَ، أكثرَ من تَخَيُّلِنا:

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

كم استدرجتَ موتَكَ
كي تُحَوِّلَهُ إلى لُغةٍ،
إلى «إسمٍ» فينسى «فِعلَهُ»
حاورتَهُ
ورَسَمْتَهُ
وكتبتَهُ،
فاوَضْتَهُ،
أوْقَفْتَهُ في آلة التصويرِ،
قلتَ له ابتسِمْ لتكونَ أحلى،
أنتَ أحلى داخلَ الإيقاعِ، أحلى
في سطوري من نواياكَ، ابتسِمْ
لم يبتسِمْ.
لم ينسَ ضيفُكَ دَورَهُ.
هَبَطَ الغِطاءُ على البيانو
أطفأوا أنوارَ مَسرحِنا وراحوا
رانَ صمتٌ في المدينة كلِّها

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

عاد الجميعُ من العزاءِ
وأغلَقوا الأيامَ خلف نهارهمْ
وقَصَدْتُ قَبْرَكَ لا يرافقني أَحَدْ
وجلستُ وَحدي في حُضورِكَ، مع زُهورِكَ،
عند آخرِ مَنْزِلٍ في الأرضِ يسْكُنُهُ الفَتى
وجَلَسْتُ وَحْدي:
تستحقُّ اللَّوْمَ فِعلاً يا صديقي
أنتَ مَن قرَّرْتَ أن تأتي إلى هذا المكانِ الآنَ
أنتَ، مِن البداية،
كنتَ تنوي أن تُغادرَ، كامِلاً
وبلا سُعالٍ حين توقِدُ سهرة الأصحابِ
بالضَّحِكِ الذكيِّ،
بلا انحناءٍ حين تُلقي الشِّعرَ في الآلاف
رُمْحاً أو نَسيماً أو نَشيداً واقفاً

لم تعترف بفضيلة العكّاز للولد الوَسيمِ،

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

مكتبة أحمد

المستقيمِ الظَّهر، عدّاءِ المسافات الأنيقةِ
أنتَ من هرَّبْتَهُ، قصداً، وراء الغيمِ
تَدْفَعَ عنه كارثةَ الهَرَمْ

- «فليذكُروني هكذا
بفتوَّة الكلماتِ والكَتِفيْنِ واليَدِ والقَدَمْ.
لن يشهدوا يوماً خريفي».
قُلتَها، وركضْتَ مِن كَفِّ الطبيبِ إلى هنا
لتُقيمَ آخرَ أمسياتِكَ
مع نجوم الليل في تَرْحالِها

هذي قصيدةُ شِعرِكَ اندفعَتْ
لتبحثَ عنكَ فوق سهولها وجبالِها

كنتَ التقيتَ بها قديماً في الصِّبا
ثم انشغلْتَ عن الصِّبا بخِصالها

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

وكما يليق بحارسٍ يَقِظِ اليدَيْنِ
تفقَدَّتْ عيناكَ حاجاتٍ لها لا تَنْقَضي
وقضيتَها سهَراً على أنوالِها

مُتَمَلْمِلاً مما يُراد من الكتابةِ،
عارفاً ماذا تريد لها،
تُحَصَّنُكَ الشّكوكُ الساهراتُ
على سطورِكَ
أنتَ دوماً في خصام مع رِضاكَ
وفي حروبٍ مع وسامة أَمْسِكَ الذهَبيِّ
فالماضى صديقُ الراكضينَ إلى الوراءِ
وقد تُخاطبُ فيك «محموداً» سِواكَ،
تَحَبُّباً ومَلامةً
ترتابُ في أضوائه ومقامِهِ
وتكادُ تسخرُ من تفاؤله ومن آلامِهِ
وحُروبِهِ وسلامهِ وغروره وغَرامِهِ

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

وكأنما في الشاعر الحقِّ التباسٌ عابثٌ
يَحْمِي من الأوهامِ، رغم جَمالِها.

وبَنَيْتَ موطنَنا على جَبَلِ المَجازِ
فكان أجملَ مِن خيال العسكريِّ
وكان أعلى مِن لِحَى الفُقَهاءِ
أوضَحَ من فصاحاتِ المُفاوضِ
كان أوسعَ من ميادين القتالِ
وكان أضْيَقَ من تقاتُلِنا عليهِ
وكان بيتاً سَيِّداً يُغري الحدائقَ
رغم حزن آدَميٍّ
والبناتُ على الطريق إليه أذكى
والشبابُ على مداخلِهِ حقيقيونَ
والشهواتُ فيه بسيطةٌ،
لا يقتضى مَوْتَ الجميعِ
خُروجُنا لنَوالِها.

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

فالشعر يرسم أطلسَ الدنيا قُلوباً
لا خرائطَ
وهو عائلةُ الغريب إذا تناءى عن ممالكِهِ
وجمهوريةٌ للأسئِلَةْ
والشعر يرسم قومَنا الآتين
من أسطورةٍ هُدِمَتْ
إلى أسطورة تُبنَى
ويَلمَحُ ما تَوارى خلْفَ لحظتِها
ويلمس في الهشاشة سِرَّ قوّتِها
ويقرأ سُكَّرَ امرأة تُعِدُّ الشّاي للأولادِ فوقَ
حُطام منزلها وتُخفي دمعة عن آلةِ التصوير
ثم تقول للصحفيِّ «لن أرحلْ»
فيعلمُ أنّها انتصرَتْ قليلاً

قلتَ لي «أنا لا أخافُ فلا تَخَفْ»،
كم قُلتَ لي

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

والشِّعرُ جَدُّكَ وهو جَدِّي
وهو بَعدَكَ وهو بَعدي
يولد الشعراءُ مِن أوصاف دنياهمْ
ومن جَسَدٍ يعانِفُ جاذبية أرضهِ
ويَحلُّ في جسد الكلامْ

المَوْتُ حين يباغت الشعراءَ
يستولي على «أقلامِهِمْ»
لكنه لا يأخذ «الأوراقَ» من عُظمائِهِمْ
لم يكتمل يوماً حِوارٌ بين شاعر أُمَّةٍ
وزَمانِهِ،
فهما معاً في لُعْبَةٍ أبديَّةٍ
بين الخِصامِ والانسجامْ،
مِن مَطْلَعِ الإيقاعِ تبدأُ
ثم تبدأُ بعد قافية الخِتامْ.

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

محمودُ نامْ.
نامت ديوكُ الهال قُرْبَ صباح قهوتِهِ،
فأيقِظْها
وكُنْ أنتَ العَلامةَ يا حَمامْ.
غنّاكَ في أرض الرَّصاصِ
فَغَنِّهِ بين الغَمامْ.
زَوِّدْهُ بالأخبارِ منذ غيابِهِ،
أخْبِرْهُ:
لا تُخْبِرْهُ شيئاً،
سوف يعرفُ كلَّ شيءٍ وَحدَهُ،
يكفيه أن تُلقي السلامْ.

***

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

«مَنطِقُ الكائنات»، مَرّةً أُخرى

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

قالت الدقائق:

أنا أثمنُ من أن تُبَدِّدَني
في مناقشةِ هذا المُتَعَصِّب السعيد
دَعْهُ يذهبْ في سبيلِهْ
لا تحاوِلْ إقناعَهُ بشيء
شَجَرَةُ البلاستيك
مهما رَوَيْتَها
لا تنمو عليها ورقةٌ واحِدة

***

telegram @ktabpdf
مكتبة أحمد

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

كما تلاحظون
لم أستطع حمايةَ أحد
حتى نفسي
مات المدافعون والمهاجمونْ
ماتت الأيدي، المنجنيقات
الأسقف الأسوار الصور
والزوجات المنتظرات
المشاعل والصمت والوقت
الشجعانُ ماتوا. والجبناء أيضاً
ومات كثير من الحجارة

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

أما الأبراج..
أرادت القلعةُ أن تُواصِلَ الشرح
لكنّ السيّاح
مُكْتَفينَ بالشرح البطوليِّ السعيد
أقصد الشرح المعتاد
من دليلتهم السياحية ذات النظارات الغبية
مصِرّينَ على تخليد زيارتهم للموقع
وحماية اللحظة من الاندثار
واصلوا التقاطَ الصور الأنيقة
مع الحُطامْ.

***

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

غريبٌ أَمْرُ هذا الرَّجُلْ
أتبعُ خطواتِهِ أينما اتَّجَه
وبدلاً من أن يستفزَّهُ فُضولي
بدلاً من أن ينْهرَني
أو يتجنَّبَني
أو يطلبَ لي الشُّرطة
ينتظر دورَهُ ليتبعني،
يسير خلفي أينما ذهبت
وعندما أصل بيتي
يدخل معي من نفس الباب

telegram @ktabpdf
مكتبة أحمد

لم يقابل أحداً
لم يشترِ شيئاً
لم يُبادِلْهُ التحيَّةَ أحَدْ
لم يدخل مطعماً
أومكتباً
أو مصنعاً
أو مدرسة
في جيبه صورةُ امرأة
رأيته يمزّقها ببطء
قبل أن يتلاشى في عتمةِ غرفتي،
وينامْ.
كأنه في بيته.
ولا رفيقَ لهُ في هذا العالَمْ
سِوايْ

***

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

قال الدَّرَج:

إصعد إن قررت

إهبط إن قررت

الصاعد أنت والهابط أنت

لكني لا أحب لك أن تسمي هبوطك

صعوداً

وتلومني عندما تنزلق

ويتدحرج جسمك إلى القاع

سأقول لك شيئاً تتذكره طول العمر:

لا أَحَدَ يتدحرجُ إلى فَوْق

***

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

قالت الغيمة:

ليس صحيحاً أنه لا شَكْلَ لي
أنا مُعَلَّقَةٌ فوقَ رؤوسِكمْ بأشكالٍ تُشْبِهُكُمْ
الطفلُ يراني دُبّاً
الحراثُ يراني مخدّة
الصحراويُّ يراني جَمَلاً
المُحقِّقُ يراني ورقةً محروقةَ الحواف
الجبانُ يراني نَعْجَة
الفلاح يراني بتلاتٍ وبراعم
البحرُ يراني جدَّته الأولى وابنته الأخيرة
الباذنجانة تراني لَمْعَةَ الماءِ على مَلاسَتِها

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

الشاعرُ يراني حتى في غيابي
الجنرالُ المُقيمُ في حِذائِهِ
لا يراني.

***

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

قالت النافذة:

وضعني البناؤون أمام البحر
قلتم، نافذةٌ مُبْهِجَة.

وضَعَني البنّاؤون أمامَ المَحاجِر
قلتم نافذة مزعجة

لا مديحُكم لي
ولا هجاؤكم لي.

ولا أملك قدمين لأرحل

***

telegram @ktabpdf
مكتبة أحمد

لماذا اخترعتموني
إذا كنتم تُفَضِّلون
أكْتافَ بَعضِكُمْ؟

***

telegram @ktabpdf
مكتبة أحمد

قالت الأسلحة :

لا يشتريني، هذه الأيام،

بالبلايين

إلا القَتْلَى

***

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

قالت التجربة :

مَن يَعِشْ بين البِغالْ
سوف يُقْسِمْ
أنَّ للطيرِ حوافِرْ

***

telegram @ktabpdf
مكتبة أحمد

العاشقة

ظلَّتْ تؤجل كلَّ موعدٍ معي

وعندما ذهبت أتفَقَّدُها

طرَدَتْني من البيتْ.

حظي أفضلُ مع العاشقة المهجورة

هي التي تبحث عني كل ليلة

كأن عِنادي يقدَح رغبتها

وكأنها لا تشتهي أحداً سواي

المُعْتَقَل

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

يَجدُني حلاً لمسائل لا حل لها
في المدى المنظور

المومس
أنا نهارها الوحيد.

الجائع
لي عتبةٌ تُخيفُهُ
كأنها نقطةُ تفتيش
لا يستطيع تجاوزَها
إلا بصعوبةٍ واضحة
أو غضَبٍ خَفِيّ
أو رغيفْ

الحرب
لم يحدث أن التقينا من قبل

***

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

كرسيُّ المَدْرَسَة
مصنوعٌ من عِظام الموتى

كرسيُّ المقهى
وَغْدٌ لا يعرف صاحبَه

كرسيُّ اللاجئ
الريح

كرسيُّ مُرافِقِ المَريض

telegram @ktabpdf
مكتبة أحمد

مَريض.

كُرْسيُّ المُحَقِّقِ المُرعِب
مصنوع من السوس

الكُرسيُّ المتحرِّك
والشخصُ المشلولْ
لا نعرف مَن منهما يُحَرِّكُ الآخَر

كرسيُّ القاضي
في بعض البلدان
تَصْنَعُهُ شركاتُ الهاتِفْ

كرسيُّ العُمدة
الهدية الوحيدة التي بوسع الغفير
ذي البندقية الطويلة،

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

والذكاء المحدود،
أن يقدِّمَها لِسَيِّدِه.

أفخمُ كُرْسيٍّ في الدار الغارقَة
سوف يَغْرَق أيضاً

كرسيُّ الغَيور
بثلاثة أرجل

كرسيُّ طبيب الأسنان
أكثرُ عَدْلاً
من غيابِكْ

***

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

وحيداً كأي منتظِر
تكوَّر حول نفسه،
لا ينقصه إلا الحُبْ
سيعرف ذلك وحده:
الحُبُّ ليس حلماً
وليس نسمةً
وليس خاطِرة
الحُبُّ جسمٌ صُلْب
له يدان وقدَمان
له رأسٌ يفكر وعيونٌ واسعة

telegram @ktabpdf
مكتبة أحمد

له موقفٌ مِن كل شأنٍ كانَ أمس
ومِن كل شأنٍ سيكون غداً
وهو ككل الأجسام الصُّلْبَة
لا يمُرُّ مِن بابٍ مغلَقْ.

***

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

قالت البَصَلة:

هذا السيِّدُ بَصَلَة

السطح المفضي للعمق

هو العمق المفضي للسطح

لا تبحث عن أي نواةٍ أو مركز

لا تبحث عن أي دمٍ أو رُوح

لا تبحثْ عن أي عناصرَ أُخرى في البَصَلَة

لا تبحثْ عن أي صفاتٍ أُخرى في هذا السيِّدْ

يكفيكَ تأمُّلُهُ

إذ يُلقي، والحراسُ يحيطون بهِ، خطبتهُ

والناسْ

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

بعيونٍ بلَّلَها الدمعُ،
تُصفِّقُ للعطر الطيِّبْ:
بالروح وبالدمِّ سنفدي هذي البَصَلَةْ

***

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

قالت حبةُ البرتقال:

لستُ رمزاً لِأحَدْ
لستُ رمزاً لِبَلَدْ
بل أنا هذا المذاق
وأنا هذا الجَسَدْ
يا مُغَنّي الوطنِ الكذاب، كُلْني
أو فَدَعْني فوقَ غُصْني
لا تُقدِّسْني رجاءً
لستُ إلا برتقالة

***

telegram @ktabpdf
مكتبة أحمد

قال المَنفِي:

أتسابق مع فضة الفجر
للوصول قبل عصفور الدُّوري اللئيم
إلى حبَّةِ التّينْ
على أصعب أغصان تلك الشجرة
التي اقتلعوها
في غيابي

***

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

قال المصباحُ السحريّ،

قال المصباحُ السحريّ للولد المُعدم:
كذبَتْ كلُّ حكايات الأجدادِ عَلَيْكْ
الأمنية الكبرى ليست في القمقم
لم تُعْطَ يَدَيْنِ لتفرُكَ مصباحاً سحرياً وتنام
استيقِظْ كي تَحلُمْ.

***

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

وثيقة

يوم غابت رضوى عاشور

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

مَن ينشَغِلْ بِحُزْنِهِ على فَقْدِ المحبوبْ، ينشَغِلْ عن المحبوبْ. الآنَ أطلُبُ مِن حُزني أن يتّجِهَ إلى أقربِ بوّابَةٍ ويغادرَ هادئاً كما أشاء، أو هادِراً كما يشاء، لكن دون أن يلفِتَ الأنظار. لا يعجبني جُوعُه ولا تلكّؤه، أكاد أكرههُ تحديداً لهذا السبب، كأنه حُزْنٌ لا يثِقُ بنفسِه، وكأنه إن اكتفى اختفى، وكأننا لم نُشارِكْهُ مقعدَه ومخدَّتَهُ ومنديلَهُ ومَلْمسَ حذائِهِ على زُجاج ساعاتنا.

لستَ أنتَ المُهمَّ اليومَ ولا أنا أيها الحُزْنْ. أنا مُنْشَغِلٌ بها لا بِكَ أنتْ. بِسَعْيِها العسيرِ للنصر في مواجهاتِ زمانها. واجهَتِ المرضَ خمسةً وثلاثينَ عاماً، ومُحَدِّثوها لا يَرَوْنَ في حديقةِ لقائِها إلا أشجارَ السرور، وفاكِهَةَ السَّماحةِ والرضا. واجَهَتِ السائدَ المتّفقَ عليه، والطاغيةَ المسكوتَ عنه. وواجَهَتْ، حتى الرَّمَقِ الأغْلى، رَكاكةَ الناطقين باسمِنا، ورَكاكةَ الضوء

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

المُشْتَرَى، وركاكةَ الكلام، وطقوسَ الهوانِمْ. هي التي جَعَلَتْ لقلبِها يداً مُنْصِفَةً تُصافِحُ الأضعفْ، وتَصْفَعُ جُملةَ الطاغية، وشِبْهَ جُمْلَتِهْ، يداً تسهرُ الليالي لتُصَحِّحَ الواقعَ والامتحانْ.

هي التي جعلَتْ هَشاشتَها إسماً آخرَ للصّلابة. هي التي علّمَتِ الدكتاتورَ كيف ترفض انتباهَهُ المشبوهَ لقيمتِها، وفي سلّةِ مُهمَلاتٍ واسعةٍ قُرْبَ حِذائِها الصغير (مَقاسُهُ خمسة وثلاثون) ترمي المناصبَ السمينةَ المعروضة، والألقابَ الرفيعةَ المقترَحة ودعواتِ الحظيرةِ/ القصر، التي يهرول إليها سواها، مكتفيةً بفرح القارئ ببَرْقِ السطور مِن يدها وفرحِ التلميذ ببريق المعرفةِ من عَيْنَيْها. هي الأستاذةُ، صوتها ينادي أصواتَ تلاميذِها لا آذانَهم، لأن صَوْتَها يُسمِعُ ويَسمَعْ. ولأنها لم تَسْعَ إلى أي ضوء، غَدَتْ بذاتِها ضوءاً في عتمةِ البلاد، وضوءاً بين أغلفة الكتب، وضوءاً من أضواء اللغة، التي هي البطل الدائم والأوّل في رواياتها.

أُخرُجْ من أقربِ بوابة يائسةٍ أيها الحزن، ودَعْني أستبدلْ بك ابتسامتَها التي تُذهِبُ حُزنَ الرائي. فابتسامتُها رأيْ. وموضعُ خُطْوَتِها رأيْ. وعنادُ قلبِها رأيْ، وعُزْلتُها عن ثقافة السّوق رأيْ، ودائماً جعلَتْ رأيَها معروفاً، موقَّعاً بإمضائها، رغم زوّار الفجر، وفُجورِ طاغيةٍ يروح، وفُجورِ طاغيةٍ يجيء.

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

رضوى جَمالُ رأيها ورأيها جَمالُها. فالمظلوم يخسر إن لم يكن في جوهره أجملَ من الظالم. وهي لم تخسر جَمالَها حتى وهُمْ يؤذونها بقبحهم، ولم تخسر جمالها حتى وهي على مخدّتِها الأخيرة.

سيدةٌ قليلةُ الجَسَدْ، يتعبك تتبُّعُ خطاها. تهدمُ السورَ الفاصلَ بين الجامعة وعموم الناس. تظنها على مرتفعها الأكاديمي فتراها على أسفلت الميدان، ذائبةً في تدافُعِ «التحرير» العظيم، والكدماتُ التي توجعها توجعُ الطاغيةَ قَبْلَها. تظنُّها في هَمْسِ القصيدةِ وهَذْأةِ الإيقاع، فتراها في صرخة التاريخ الخارج توّاً من يد القابِلَةِ وأرحام الشوارع. تظنها في شوارع «وسط البلد» في القاهرة فتلقاها في غيوم غرناطة. وتظنها تجلس مع «أبي جعفر» تجلّد الكتبَ بخطوط الذهب، أو تدبّر الحِيَلَ المذهِلةَ مع «مريمة»، فإذا بها تأخذ بيَدِكَ إلى شاطئ «الطنطورة» في فلسطين وتقول لك ضَعْ قلبَك هُنا، دَعْهُ هُنا، وارسمْ غَدَكَ مِن هُنا، كي تعودَ إلى هُنا، إلى السّاحلِ الأوّلْ.

لم يأخذْها اليأسُ إلى وضوحِهِ المُغري، لأنها تَعْلَمُ أنّ الثورةَ لا تنتصر، إلا بعد أن تَسْتَكْمِلَ كلَّ أشكال الخيبة. لم تمنحنا أملاً كاذباً، بل دعَتْ نفسَها ودَعَتْنا للتحمّل. وتحمّلَتْ. وعلى عصا المَجاز وعصا خشب البلوط، واصلت السيرَ في طريقها الطويل، تختصره بالرفقة، والرفقة جيلٌ أحَبَّها وأحبّته، جيلٌ

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

قادم بصبایاه وشبابه (الحلوين كما تصفهم دائماً) يصعد جبل السؤال والمساءلة، والبحثِ عن الحقيقة تحت كومة الرُّعْبِ الرسميّ، جيل يصعد جَبَلَ الفُضول العظيم، الذي وحده يزيد العيونَ اتِّساعاً والعمودَ الفقريَّ استقامة. جيلٌ يرى أن الثوابت ما خُلِقَتْ إلا لكي نَرُجَّها رَجّاً ونهتكَ منها ما يستحقُّ الهَتْك، حتى نعرف الفَرْقَ العظيمَ والقاسي بين الوَراءِ والأَمامْ.مكتبة أحمد

تَنْشَقُّ في أول العمر عن ثوابتِ الجدود والنَّصِّ والتعاليم. تُمَزِّقُ العباءةَ الموحَّدةَ المقترَحةَ لكل أجسادنا، لأنها تحترمُ الجَسَدَ لا العباءة. تَنْقد بدراساتها المدهِشة كُتُبَ الإبداع، وبإبداعها المُدهِش تَنْقُدُ العالَمَ، وتَصْعَدْ.

أتركوا الأبواب مفتوحة. ليخرج الحزن. ولتدخل السيدة. وَقْعُ خطاها خَفيفٌ وأكيدٌ على هذا الدَّرَجْ. إنني أسمعهُ يقتربْ. رضوى عاشور جزء مما سيصنعه هذا الجيل في أيامه الآتية، وهو جزء مما صنعَتْهُ في أيامِهِ الماضية.

أثقل من رضوى ما تَرَكْتنا لهُ، وما تَرَكَتْهُ لنا. رضوى عاشور تَرَكَتْنا بَعْدَها لا لنبكي، بل لننتصِر. تَرَكَتْكُمْ بَعْدَها لا لِتَبْكوا، بل لِتنتَصِروا.

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

صَدَرَ للشاعر

الشعر:

الأعمال الشعرية (مجلّدان)، دار الشروق، القاهرة ٢٠١٣.

الأعمال الشعرية (مجلّد)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٧.

منتصف الليل، دار رياض الريس للنشر، بيروت ٢٠٠٥.

زهر الرمّان، دار الآداب، بيروت، ٢٠٠٢.

النّاس في لَيْلِهِم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٩.

ليلة مجنونة، الهيئة المصرية العامة الكتاب، القاهرة، ١٩٩٦.

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

منطقُ الكائنات، دار المدى، عمّان، ١٩٩٦.

رنّة الإبرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٣.

طال الشتات، دار الكلمة، بيروت، قبرص ١٩٨٧.

قَصائدُ الرَّصيف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠.

الأرضُ تنشرُ أسرارَها، دار الآداب، بيروت، ١٩٧٨.

نشيد للفقر المسلَّح، الإعلام الموحّد، بيروت، ١٩٧٧.

فلسطينيّ في الشمس، دار العودة، بيروت، ١٩٧٤.

الطوفان وإعادةُ التَّكْوين، دار العودة، بيروت، ١٩٧٢.

مختارات شعرية:

الحُب، غابة أم حديقة، دار الشروق، القاهرة ٢٠١٦.

قصائِد مختارة، دار الفاروق، نابلس، فلسطين ١٩٩٦.

القصائد المُختارة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦.

عندما نلتقي، (قصائد مختارة)، دار الكرمل، عمّان، ١٩٩٢.

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

النثر:

رأيت رام الله، دار الهلال، القاهرة، ١٩٩٧.

ولدتُ هناك، ولدتُ هنا، دار رياض الريس للنشر ٢٠٠٩.

الترجمات الشعرية

A Small Sun, Aldeburgh Trust, UK, 2003.

Medianoche, Fundacion Antonio Perez, UCLM, Cuenca, Spain, 2006.

Midnight and Other Poems, ARC Publications, UK, 2008.

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

telegram @ktabpdf مكتبة أحمد

شكر

كُتِبَتْ قصائدُ هذا الديوان بين سنوات ٢٠٠٥ و٢٠١٨ في رام الله وعمان والقاهرة وبيروت وكتب بعضها في إقامة تفرغ للكتابة في بيلاجيو سنتر على بحيرة كومو في إيطاليا مقدمة من مؤسسة روكفلر ومركز خوج في الهند ويود المؤلف أن يسجل شكره لهما لتوفير هذه الفرصة.

مكتبة أحمد
telegram @ktabpdf
تابعونا على فيسبوك جديد الكتب والروايات

مكتبة ٢٩٨

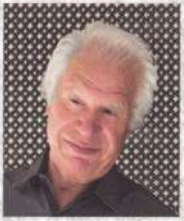

مريد البرغوثي

استيقِظْ كَي تحلُمْ

فَلْيحضُرِ التاريخُ فوراً
ولْيُلغِ موعدَهُ مع الحربِ التي ستجيءُ أو
مع أيِّ سِلْمٍ مُفْتَرَضْ
ومع القضايا العالقاتِ بحبْرِهِ وحرابِهِ
...
سَأجُرُّهُ بيدي إلى غُرَفِ المعيشةِ بيْننا
وأُديرُ سَهْرَتَهُ أنا
ليرى لِدَوْلٍ مرّةٍ وَلَداً لَهُ وَجْهٌ، لَهُ صَوْتٌ
لَهُ جَدٌّ حقيقيٌّ، لَهُ إسمٌ ثُلاثيٌّ
يُمارِسُ يوْمَهُ العاديَّ بين يَدَيْهِ
سوف أُهَيِّئُ الأقلامَ والأوْراقَ
أُكْتُبْ ما تَرى:

ISBN 978-9953-21-693-5